صحبتي مع
هاروت و ماروت
كتابة و تأليف :
زكرياء الرياح
توقع ثلاثين سنة للأمام

صحبتي مع هاروت و ماروت

"صحبتي مع هاروت و ماروت"

كتابة وتأليف :
زكرياء الرياح

مقدمة :

ـ منذ أن خطّ الإنسان أولى نقوشه على جدران الكهوف، ومنذ أن رفع رأسه نحو السماء يتأمل النجوم، كان يبحث عن معنى وجوده. لم يكن الزمن بالنسبة له مجرد عقارب ساعة أو تعاقب ليل ونهار، بل كان لغزًا أكبر من أن يُفكّ. الماضي لم يكن يُرى كذكرى، بل كروح باقية تتوارثها الأجيال؛ والحاضر لم يكن يُفهم إلا بوصفه جسرًا هشًّا؛ أما المستقبل، فقد ظل دائمًا كيانًا غامضًا، إما مبشرًا بالخلاص، أو مهددًا بالخراب.

لقد حاول الفلاسفة، من حكماء الصين إلى فلاسفة اليونان، ومن أنبياء الشرق إلى علماء الغرب، أن يفسروا هذا النسيج الذي يجمع بين كل الأزمنة.

فقال بعضهم إن الزمن خطّ يبدأ من لحظة الخلق ويمتد حتى النهاية، وقال آخرون إنه دائرة تتكرر أحداثها بلا نهاية، بينما اعتبر آخرون الزمن وهمًا صنعته عقولنا المحدودة. لكن مهما اختلفت الرؤى، بقي شيء ثابت: أن الماضي لا يموت، وأن المستقبل يطلّ دائمًا من بين ثنايا الحاضر.

إن البشرية اليوم، في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، تعيش أزمة ووعيًا مزدوجًا: فهي من جهة بلغت ذروة العلم، حيث غزت الفضاء وصنعت آلات تفكر مثلها، ومن جهة أخرى لا تزال سجينة غرائزها القديمة، تخوض الحروب نفسها، وترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبها أسلافها قبل آلاف السنين. هذه المفارقة العجيبة تجعل من دراسة المستقبل أمرًا ليس فقط ضروريًا، بل مصيريًا.
لكن كيف يمكن أن نفهم ما سيحدث بعد ثلاثين عامًا، في سنة 2055؟ لا يمكن أن نفعل ذلك إلا إذا

نظرنا إلى الماضي بعمق، وإلى الحاضر بوعي، ثم أسقطنا ذلك على المستقبل. فالتاريخ ليس دفترًا مغلقًا، بل كتاب مفتوح، صفحاته ما زالت تُكتب، وكل سطر فيه هو نبوءة مبطنة.

لقد صعدت حضارات وانهارت أخرى.الفراعنة شيّدوا صروحًا لا تزال شاهدة على خلودهم، لكن مملكتهم تلاشت.الإغريق اخترعوا الفلسفة والمسرح، لكنهم ابتلعهم المد الروماني.الرومان أسسوا إمبراطورية امتدت على ثلاث قارات، لكنهم انهاروا كأطلال مهجورة.المسلمون بنوا حضارة جمعت بين العلم والروح، لكنهم تفككوا بين الطوائف والدول.الغرب الحديث صنع الثورة الصناعية والتكنولوجية، لكن اليوم بوادر أفوله بدأت تظهر.

وهكذا، يعلّمنا التاريخ أن لا قوة تدوم، وأن لا ضعف يستمر. كل أمة لها ساعة ولادة وساعة أفول. وكل

جيل يرث من الذي قبله بذور نهضته أو أسباب سقوطه.

إننا اليوم نشهد بداية تشكّل عالم جديد. القوة لم تعد في السيف أو المدفع، بل في المعلومة والتكنولوجيا والاقتصاد. لم تعد الجيوش وحدها تحسم المعارك، بل الذكاء الاصطناعي، والفضاء الإلكتروني، والقدرة على التحكم في العقول.
المستقبل لن يكون نسخة من الماضي، لكنه سيظل ابنًا له، يحمل جيناته وأمراضه وأحلامه.

في سنة 2055، أي بعد ثلاثين عامًا من الآن، سيظهر عالم مختلف جذريًا ،فالدول العظمى لن تكون بالضرورة هي نفسها اليوم. قد تتراجع أمريكا من عرشها، بينما تقف الصين والهند في المقدمة.أوروبا، المثقلة بالشيخوخة والانقسامات، قد تتحول إلى مجرد متحف حضاري، بلا قدرة على التأثير.

إفريقيا، التي طالما كانت مسرحًا للفقر والاستغلال، قد تنهض كقارة جديدة بفضل شبابها وثرواتها.

العالم العربي سيبقى بين حلم النهضة وسياط التفكك، يراوح بين ديناميكية شعوبه وضعف أنظمته.

أما الديانات، فهي الأخرى على موعد مع تحولات عميقة. الأديان القديمة ستظل موجودة، لكنها ستواجه تحديات غير مسبوقة، حيث أن بعض الناس سيزدادون تمسكًا بإيمانهم، كملاذ في عالم مضطرب.آخرون سيبحثون عن خلاص جديد في "ديانات هجينة" تجمع بين العلم والروحانية.وقد يظهر لأول مرة في التاريخ دين تكنولوجي، حيث تُعبد الخوارزميات، ويُقدَّس الذكاء الاصطناعي، وتتحول الشبكات الرقمية إلى معابد افتراضية.أما الشعوب والأعراق، فستدخل مرحلة الذوبان الأكبر في التاريخ. الهجرة الجماعية، التزاوج المختلط، العولمة الثقافية،

كلها ستجعل من الإنسان كائنًا جديدًا، لا يمكن تصنيفه كما كان من قبل: "أبيض" أو "أسود"، "شرقي" أو "غربي". سنكون أمام ميلاد "الإنسان الهجين"، الذي يجمع دماءً من كل الحضارات، ويحمل هوية كونية أكثر منها محلية.

ووسط كل هذا، ستولد أساطير جديدة. الأساطير ليست حكرًا على الماضي؛ فكما آمن القدماء بزيوس وأوزوريس وكرشنا، سيؤمن القادمون بآلهة جديدة تُولد من رحم التكنولوجيا: ربما إله رقمي، أو أسطورة عن رحلة البشر إلى كوكب آخر. فالخيال البشري لا يتوقف، بل يعيد تشكيل نفسه كلما تغيرت أدواته.

أيها القارئ، إن هذا الكتاب ليس مجرد محاولة لتخمين المستقبل، بل هو رحلة فكرية عبر الزمن، سنجوب فيها الماضي والحاضر والمستقبل معًا. سنتأمل الملوك والرؤساء الذين قد يحكمون العالم بعد ثلاثين عامًا، والدول التي ستغتني والدول التي ستفقر، والأديان التي ستضعف أو تشتد، والشعوب التي ستذوب أو تنهض.

أيها القارئ، قبل أن تخطو معنا إلى صفحات هذا الكتاب، توقف للحظة وتأمل. أغمض عينيك، وتخيل العالم بعد ثلاثين عامًا: المدن التي تعانق السماء، والأنهار التي تعكس ألوان الغروب على معابد جديدة، والفضاء الذي لم يعد حلمًا، بل وطنًا للإنسان. تخيل الشعوب التي تتشابك دماؤها، واللغات التي تتداخل كأنها نغم واحد، والأديان التي تتلاقى في فهم أعمق للكون والحياة.

تخيل القوة التي ستصنعها العقول لا السيوف، والحكمة التي ستصنعها التجارب لا الحروب، والمحبة التي ستنتصر على الكراهية. هذا المستقبل ليس بعيدًا كما تظن، بل هو امتداد طبيعي لكل ما سبق، وهو انعكاس لخياراتنا اليوم، وأفعالنا غدًا، وأحلامنا منذ فجر الإنسانية.فلننظر إلى السماء، ولنتذكر أن النجوم نفسها التي رآها أجدادنا منذ آلاف السنين، ستظل شاهدة على مسيرتنا. وأن كل حضارة

ولدت وانتهت، ستترك أثرها في شكل جديد، في جيل جديد، في قصة جديدة. ونحن، اليوم، على أعتاب كتابة هذه القصة.

خذ نفسًا عميقًا، وادخل معنا إلى هذا النسيج العظيم من الأزمنة: الماضي الذي يُنير، الحاضر الذي يُشكل، والمستقبل الذي يترقب. عش كل صفحة كما لو أنك تشاهد التاريخ وهو يولد أمام عينيك، واعلم أن كل فكرة، وكل حلم، وكل خطوة صغيرة اليوم، قد تُعيد رسم خريطة العالم بعد ثلاثين عامًا.
أيها القارئ، العالم أمامك الآن، لكنه ليس مجرد خارطة أو تاريخ، بل رحلة مستمرة في البحث عن معنى الوجود، وعن مكان الإنسان في الكون اللامتناهي.

فاسمع يا من تحمل الكتاب بين يديك،

و سافر معي حيث تتقاطع الطرق بين النجوم والأزمان،

حيث يقف الماضي كجبال صامتة،

ويصرخ الحاضر كبحر هائج،

ويبتسم المستقبل كغيم بعيد يحمل المطر والخطر معًا.

تذكر الفراعنة على أرصفة الرمال الذهبية،

وأغنية الأنهار التي روت أساطير الأوديسا،

وركاب الرومان الذين شقوا العالم بالسيوف والقوانين،

وحكماء الصين الذين نحتوا الحكمة على أحجار الجبال،

والأنبياء الذين ركبوا الريح وكتبوا الوصايا في قلوب البشر.

تخيل الأديان كشموس متعددة،

تشرق وتغرب في سماء الفكر والروح،

تسكن المعابد ، وتتنفس في الصدور،

وتنسج خيوطها بين البشر كما ينسج العنكبوت نسيجه،
دون أن يعرف أحد من أين تأتي القوة ومن أين ينتهي السحر.

تخيل الحضارات تنهض كالجبال،

ثم تتهاوى كالقلوب المنكسرة،

تترك وراءها الرماد والذهب،

القصص والملاحم، والدموع التي تروي الحقول المهجورة.

تخيل الشعوب، تتلاقى كأنهار تصب في محيط واحد ،

والأعراق تتمازج، والأجناس تتشابك،

واللغات تصبح ألحانًا تتناغم مع الرياح،

والأساطير القديمة تتشكل من جديد ،

كما يولد الفجر بعد ظلمة طويلة،

يولد الإنسان الجديد من رحم الزمن،

يحمل دم كل من عاش قبله، ويحمل حلم كل من سيأتي بعده.

فاسمع يا قارئ، هذا العالم ليس مجرد ورق وحبر،

بل صدى أفعالنا ، صرخة أحلامنا ، وتاريخ كوكبنا ،

هو رحلة البشرية من العدم إلى النور،

من الغضب إلى الحكمة، من الخراب إلى الولادة.

فخذ نفسًا، وادخل معنا في هذا النسيج العظيم،

دع الريح تحملك بين جبال الزمن،

ودع البحر يغسل روحك من وهم الحاضر،

لتشهد كيف يولد الغد على أطراف السيوف والأفكار،

ولتعرف أن كل لحظة اليوم، وكل حلم صغير،

قد يصبح أسطورة، وقد يصنع مصير البشرية بعد ثلاثين عامًا.

أيها القارئ، فلتسمع قلبك، وليقرأ عقلك،

ولتكن عيناك كالنجوم التي لم تغب أبدًا،

ولتدرك أن التاريخ ليس مجرد صفحة، بل ملحمة مستمرة،

وأن كل كلمة في هذا الكتاب، هي صدى الأزمنة كلها،

من فجر البشرية إلى شروق المستقبل العظيم.

في عام 2055، بدأت الأرض تتشكل بشكل مختلف عما عرفه البشر في القرن الواحد والعشرين، فقد شهدت العقود الثلاثة الماضية تحولات جذرية في كل المجالات، مناخيًا واجتماعيًا وسياسيًا وتقنيًا، ففي صباح يناير، اهتزت آسيا بخبر مفاده أن الصين والهند، بعد سنوات من التعاون الاقتصادي المكثف، أعلنا تشكيل اتحاد اقتصادي جديد يضم جميع دول جنوب وشرق آسيا، مستهدفين استثمارات ضخمة في الطاقة النظيفة والذكاء الاصطناعي، وهو التحالف الذي أعاد رسم موازين القوى العالمية، بينما في أمريكا الشمالية، أتمت كندا والولايات المتحدة اتفاقية جديدة لتوحيد الشبكات الذكية للمدن، مع اعتماد واسع للطاقة النووية المتقدمة والبطاريات ذات الكثافة العالية، وهو ما جعل الولايات المتحدة أقل اعتمادًا على الوقود الأحفوري بشكل كامل، وفي أمريكا اللاتينية، شهدت البرازيل والمكسيك ثورة زراعية ذكية، تعتمد على روبوتات وبيانات بيئية لتعديل المحاصيل وتحسين إنتاج

وتحسين إنتاج الغذاء، وهو ما ألغى الحاجة لمعظم العمالة التقليدية وأدى إلى هجرة واسعة نحو المدن الذكية، حيث الروبوتات والخوارزميات تدير كل شيء بدءًا من المرور إلى توزيع الغذاء، أما أفريقيا، فقد تحولت معظم دول الساحل والصحراء الكبرى إلى مراكز للطاقة الشمسية والرياح، مع مشاريع ضخمة لتحلية المياه، وقد استثمرت شعوب المنطقة في التعليم الرقمي،مما أدى إلى ظهور جيل جديد من العلماء والمخترعين قادر على منافسة أي دولة في العالم، وفي أوروبا، بعد أزمة الهجرة والموارد في العقدين الماضيين، تشكلت اتحادات إقليمية جديدة، ففرنسا وألمانيا وإيطاليا والإسكندنافية شكلت كتلة أوروبية مركزية تدير السياسات الاقتصادية والبيئية بشكل مشترك، مع تقنين صارم للذكاء الاصطناعي والروبوتات لضمان العدالة الاجتماعية، بينما في الشرق الأوسط، نجحت بعض دول الخليج وشمال أفريقيا في استثمار الطاقة الشمسية والنووية، ما أدى إلى تقليص الفجوة الاقتصادية بين المدن الكبرى والصحارى

البعيدة، وبالانتقال إلى الشعوب والأعراق، شهد العالم زيادة ملحوظة في الاندماج الثقافي، ففي المدن الكبرى أصبح هناك شبكات متداخلة من السكان متعددي الأعراق، أما في آسيا الوسطى وأفريقيا جنوب الصحراء، فقد ظهرت مجتمعات هجينة جديدة تمزج بين الثقافات التقليدية والتقنيات الحديثة، وهو ما خلق لغة مشتركة وثقافة رقمية موحدة جزئيًا، والتاريخ نفسه أصبح جزءًا من التعليم الرقمي المباشر، حيث يمكن لكل شخص تجربة الأحداث التاريخية من خلال الواقع الافتراضي، والتعلم من منظور جميع الأطراف، وفي المحيط الهادئ، تحولت جزر صغيرة إلى مراكز بحثية للطاقة الموجية وتربية الأحياء البحرية الذكية، بينما البحار الشمالية أصبحت مناطق استراتيجية لتعدين المعادن النادرة، مع وجود تقنيات لحماية البيئة والتوازن البيئي، أما التكنولوجيا، فقد تجاوزت الحدود التقليدية، فالذكاء الاصطناعي أصبح جزءًا لا يتجزأ من الحكم والإدارة، مع وجود أنظمة أخلاقية تمنع التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين، بينما الطب

تطور إلى حد يسمح بإطالة العمر البشري إلى 120 سنة بشكل طبيعي، والأنظمة الغذائية الشخصية تعدّل الجينات بشكل دوري لمكافحة الأمراض المزمنة، وفي التعليم أصبح لكل طفل مساعد ذكي شخصي، قادر على تعليم أي لغة، مهارة، أو علم وفق قدراته ومواهبه، أما الفنون والثقافة، فقد تحولت إلى تفاعل حي مع الجمهور، حيث يمكن لكل شخص أن يصبح شريكًا في خلق الأعمال الفنية، باستخدام الواقع المعزز والواقع الافتراضي، والاقتصاد العالمي صار قائمًا على شبكات رقمية موحدة، تعتمد على العملات الرقمية لكل دولة، مع مراقبة دقيقة للثروات والموارد ، ما قلل من الحروب التقليدية، واستبدلت بالصراعات التقنية والاقتصادية، وفي هذا العالم الجديد ، اختفت الحدود التقليدية بين الدول تقريبًا ، واستبدلت بشبكات تحكم إقليمية وعالمية، والشعوب تعلمت التعايش عبر الثقافات، مع استمرار التحديات البيئية والسياسية، لكن بوجود

التكنولوجيا و الوعي الجماعي، أصبح البشر قادرين على مواجهة أي كارثة أو تهديد عالمي، وهكذا، العالم بعد ثلاثين سنة يظهر مزيجًا مذهلاً من التقدم التقني، الاندماج الثقافي، العدالة الاجتماعية، والسيطرة البيئية، مع إمكانيات غير محدودة للخيال البشري والمستقبل.

"آه، ظننت أن العالم بعد ثلاثين سنة سيكون مزدهرًا ومتقدمًا كما قرأت في الصفحات السابقة؟ هل صدقت هذا حقًا؟"

أيها الساذج !

عندما يفتح القارئ هذا الكتاب، سيشعر بالصدمة الأولى، وسيهمس في نفسه: "هل صدقت ما كنت تعرفه عن العالم؟" لأن ما يصفه هذا النص ليس خيالًا، بل انعكاس لما ستؤول إليه الأرض خلال العقود القادمة،

، عالم يحترق بلا رحمة، حيث المدن الكبرى تتحول إلى رماد ، والسماء ملبدة بالدخان والرماد النووي، والمحيطات تغلي من الحرارة والتلوث، وفي آسيا ، اندلعت الحرب الكبرى بين اليابان والهند بعد قرار استراتيجي مفاجئ من الحكومة اليابانية، فغزت قواتها السواحل الهندية، مستهدفة المدن الكبرى مثل مومباي ودلهي، مدمرة البنية التحتية، وقتلت ملايين المدنيين، لتبدأ موجة هجرة جماعية هائلة نحو باكستان وبنجلاديش، وفي نفس الوقت، تعرضت اليابان لهجمات انتقامية داخل أراضيها من قبل المتمردين والهجمات السيبرانية، فتفشى الدمار في طوكيو وأوساكا ، والحرائق والفيضانات النووية تلتهم المدن.

وفي العالم العربي، صدمة كبرى، إذ اغتيل رئيس دولة عربية مهمة، وهو محمد الراشد ، الذي كان يسعى لتوحيد جهود التنمية المستدامة، وأدى اغتياله إلى فوضى سياسية واسعة، واستغلال القوى الخارجية الموقف، فاستعمرت فرنسا وتركيا بعض

الدول العربية، مثل ليبيا والجزائر والسودان، لتتحول إلى مناطق خاضعة بالكامل للسيطرة الأجنبية، بينما سوريا واليمن أصبحت ساحات حرب مفتوحة بين المليشيات والقوات الأجنبية، ما أسفر عن آلاف القتلى وموجات هجرة هائلة نحو البحر المتوسط وأفريقيا جنوب الصحراء.

في أوروبا، ألمانيا وفرنسا وإيطاليا تشهد موجات عنف طائفي واسعة، جماعات مسلحة تتسيد المدن، وتحدث إبادة جماعية جزئية، والمدن تصبح ساحات موت ودمار، والولايات المتحدة الأمريكية، بعد أعاصير متتابعة وفيضانات غير مسبوقة، تتحول المدن الساحلية مثل نيويورك وميامي إلى مناطق منكوبة، مع انهيار كامل للبنية التحتية، وظهور معسكرات ضخمة للاجئين محاطة بالجريمة والجوع، وأفريقيا، خاصة نيجيريا، تدمر بالكامل بسبب حرب على المياه، استخدام الأسلحة الكيميائية والبكتيرية يقضي على عشرات

الملايين، وتنتشر موجات هجرة هائلة نحو الصحراء الكبرى ومصر.

أما روسيا، فتواجه حرائق ضخمة وفيضانات غير مسبوقة مع انهيار البنية التحتية والثلوج الملوثة بالإشعاع، والآثار الصناعية تتهاوى، وفي الهند، بعد الغزو الياباني، تشتعل المدن بالثورات والمذابح، ملايين يموتون وناجون يهربون شرقًا وغربًا، والبحار تغلي بحرائق نفطية وكوارث بيئية، الأراضي الزراعية في البرازيل والأرجنتين تتحول إلى صحارى، والشعوب تشرذمت، الأعراق تمازجت في مخيمات اللاجئين، الجوع والأوبئة صار قانون الحياة، والمدن الكبرى مجرد هياكل معدنية مدمرة، السماء قاتلة، الهواء سام، الأرض صرختها واضحة: البشرية تقف على حافة الانقراض الذاتي، العالم أصبح جحيمًا بلا رحمة، مكانًا لكل أنواع الدمار البشري والطبيعي، والكارثة في كل زاوية من الأرض. في الشرق الأقصى، كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية

دخلتا في حرب نووية محدودة، أطلقت فيها بيونغ يانغ صواريخ نووية صغيرة على سيول، ما أدى إلى انهيار كامل للبنية التحتية، وسقوط ملايين الضحايا، فيما الصين، بعد اجتياح اليابان للهند، واجهت موجة ثورات داخلية ضخمة في شنجهاي وبكين بسبب نقص الغذاء والانهيار الاقتصادي، واضطرت القوات الحكومية لاستخدام الأسلحة الكيمائية ضد المدنيين، فشهدت المدن الكبرى حريقًا كونيًا من الرماد والدخان.

في الأمريكتين، المكسيك والبرازيل عاصرتا فيضانات حرارية وغرقًا للمدن الساحلية بالكامل بسبب ارتفاع منسوب البحار، بينما الولايات المتحدة لم تستطع السيطرة على الكوارث المتزامنة: الأعاصير في فلوريدا، الحرائق الغابية في كاليفورنيا، الزلازل المدمرة في كاليفورنيا وهاواي، مع انتشار العصابات المسلحة التي تتحكم بالمدن المحترقة، ومع ذلك فالنظام الرقمي للسيطرة على المدن انهار بالكامل، تاركًا ملايين

المحاصرين في الفوضى والموت.
في أوروبا، بريطانيا وأيرلندا تحولت إلى مناطق منكوبة بعد تفجير نووي تحت الأرض نتيجة صراعات على الطاقة، إسبانيا والبرتغال تعاني من موجات حرائق شديدة وحرائق الغابات تغطي معظم القارة، مع انهيار الحكومات المحلية، والنزاعات بين الجماعات المسلحة تسبب إبادة متبادلة في إيطاليا وألمانيا، وفرنسا تحترق على وقع مظاهرات مسلحة تتصاعد لتصبح حرب شوارع مستمرة.

في أفريقيا، إلى جانب نيجيريا، الكونغو وكينيا وجنوب أفريقيا تعيش صراعًا مفتوحًا على الموارد، الأسلحة البيولوجية والكيمائية تنتشر، والمدن الكبرى تصبح مناطق موت، بينما الصحراء الكبرى تتحول إلى أرض هجيرة، واللاجئون يغرقون في موجات الكوارث الطبيعية والجوع.
في الشرق الأوسط، بعد اغتيال الرئيس العربي، العراق

و لبنان واليمن وقطر تتحول إلى ساحات حرب مستمرة بين المليشيات الأجنبية والمحلية، الأسلحة النووية التكتيكية تُستخدم جزئيًا، والحرائق والألغام الأرضية تدمر البنية التحتية بالكامل، وموجات اللاجئين تهدد البحر المتوسط وأوروبا الجنوبية.

في أوقيانوسيا، أستراليا ونيوزيلندا تتعرضان لحرائق مستمرة، الأعاصير الاستوائية تغرق المدن الساحلية، والحيوانات تنقرض بشكل جماعي، والكوارث الطبيعية تتضاعف بسبب ارتفاع درجات الحرارة.

في القطبين، القارة القطبية الجنوبية أصبحت منتهكة بالكامل بسبب ذوبان الجليد، الأسماك المهاجرة تموت، وارتفاع مستوى البحار يبتلع الجزر الصغيرة في المحيطين الهادئ والأطلسي، فيما روسيا المتجمدة تواجه فوضى بسبب الذوبان السريع، المدن الصناعية تنهار، والمياه الملوثة تسبح فوق المدن.

الجزء الأول :

أفريقيا و الطاعون

تبدأ الكوابيس من المغرب ، السماء ملبدة بالدخان، والرياح تحمل رائحة الحريق والغبار النووي من الشمال إلى الجنوب. طنجة كانت المدينة الأولى التي شعرت بزلزال اقتصادي وسياسي لم يسبق له مثيل، والبحر المتوسط ارتفع ليغمر الأحياء الساحلية. الأسواق مهجورة، الناس يركضون بين المباني المتصدعة، فيما المسؤولون يجتمعون في قصر الرباط للحظة حاسمة.

في غرفة الاجتماعات، وقف الوزير الأول، وجهه متجهم:
— "لقد فشلنا... مياه الشرب على وشك النفاد ، والمحاصيل الزراعية دمرت بالكامل، إذا لم نتخذ قرارًا الآن، سنفقد شمال البلاد بالكامل."

أجابه وزير الداخلية، صوته مرتجف:
— "وماذا نفعل؟ الهجرة الجماعية بدأت بالفعل نحو الجزائر وإسبانيا... والموجات القادمة قد تغرق المدن الداخلية!"

خارج القصر، في فاس ومراكش، كان المواطنون يتحدثون فيما بينهم:
— "سمعت أن الجيش حاصر المدن لمنع الهروب... الناس يموتون في الشوارع."
— "والله، أنا رأيت عائلة كاملة تموت بسبب الحرائق والانفجارات المتزامنة... لا أحد يستطيع فعل شيء."

وسط هذا الفوضى، قررت الحكومة اللجوء إلى خطة طوارئ: بناء مخيمات محمية في الأطلس الكبير، لكن الوصول إليها كان شبه مستحيل بسبب الانهيارات الأرضية والفيضانات، والطرق مقطوعة بالكامل.
الجيش حاول تأمين الموارد، لكنه انهار أمام موجة العنف والجريمة المنظمة، الناس لم يعودوا يثقون بأحد، حتى المسؤولين أصبحوا هدفًا للغضب الشعبي.

في الجنوب، الصحراء الكبرى بدأت تتوسع داخل المغرب، الأمطار لم تعد تهطل، وحرائق الغابات تمتد

لمساحات شاسعة، المدن الصغيرة تختفي تدريجيًا، بينما اللاجئون يركضون عبر الرمال القاحلة، يصرخون طالبين النجاة، والأطفال يبكون بلا توقف.

بصوت ثقيل:

— "لم نعد نملك رفاهية الوقت... العالم ينهار حولنا، وأفريقيا كلها على حافة الانفجار... علينا أن نختار من سينجو ومن لا."

— "جلالتك، إذا لم نتحرك الآن، سيصبح المغرب مجرد أطلال، ونحن مسؤولون عن ملايين الأرواح!"

وفي الشوارع، كانت أصوات الانفجارات تتزامن مع صراخ المدنيين، السيارات تتحطم، والجسور تنهار، والبحر المتوسط يغرق المدن الساحلية الواحدة تلو الأخرى.

المشهد أشبه بكابوس جماعي، كل شخص يركض من أجل حياته، والأمل أصبح ذكرى بعيدة.

هكذا، المغرب أصبح أول فصل في ملحمة الجحيم الأفريقي، بداية سلسلة من الكوارث التي ستتوالى في

كل دولة، حيث السياسة والفوضى والحروب الطبيعية والبشرية تتشابك، والسماء تحمل رماد ما تبقى من الحضارة الإنسانية.

وزير الدفاع، يضع يده على الطاولة بقوة:

— "الجيش لم يعد قادرًا على السيطرة... الجنود يفرون، المدن تتحول إلى مناطق حرب أهلية، واللصوص يسيطرون على الموارد..."

في فاس، داخل أحد أحياء المدينة القديمة، يتحدث السكان وهم يركضون بين الدخان والحطام:

— "لقد سرقوا كل شيء... الطعام، الماء، الدواء... لا أحد ينقذنا!"

— "الأطفال يموتون أمام أعيننا، والحرائق تلتهم المنازل، ماذا نفعل؟"

في طنجة، الميناء القديم انهار بالكامل بعد موجة من الفيضانات الناتجة عن ارتفاع منسوب البحر، السفن

غرقت، وموجات البحر حملت الهياكل الخشبية والمعدنية على الشوارع، السكان يحاولون الهروب بالقوارب المتهالكة، بينما الجيش يحاول السيطرة على الفوضى، لكن النار والأمواج أجبرت الجميع على الفرار.
وفي الصحراء الكبرى المغربية، اللاجئون القادمون من الجنوب يواجهون موجات من العطش والجوع، الرمال تتطاير مع الرياح الحارة، والحرارة تتجاوز كل تصور، ووسط ذلك تظهر عصابات مسلحة تستهدف من تبقى من السكان للحصول على ما تبقى من الموارد.

في الدار البيضاء، المدينة الاقتصادية، كان مشهدًا أسود: المصانع مدمرة، الأبراج شبه منهارة، السيارات تحترق على الطرقات، والأنفاق تحت الأرض أصبحت مقابر جماعية للذين حاولوا الفرار من الحرائق والانهيارات الأرضية.
وفي الرباط مرة أخرى، الملك ينظر من نافذة القصر إلى المدينة المحترقة، وقال بصوت ثقيل:

— "لقد فقدنا كل شيء... الشعب، المدن، الأرض... المغرب أصبح شاهدًا على ما يمكن أن يفعله الدمار البشري والطبيعي مجتمعًا..."

وزير الداخلية، ينهار بالبكاء:
— "جلالتك... كيف سنواجه اللاجئين؟ كيف سنمنع الانهيار النهائي؟ كل شيء انتهى..."

وفي كل زاوية، أصوات الصراخ والموت تتداخل مع انفجارات الحرائق، الرياح تحمل الرماد والدخان في كل مكان، الشوارع تمتلئ بالجثث، والسيارات المقلوبة تتحول إلى حواجز أمام الناجين، الأطفال يبكون دون توقف، والسماء تبدو كأنها تحرقهم مع الأرض، كل شيء مظلم، كل شيء مدمر، المغرب أصبح فصلاً حقيقيًا من الجحيم، ملحمة بلا نهاية، والصراخ المستمر يذكر كل من يقرأ: "هذا ما تبقى من حضارة، هذا ما يحدث عندما ينهار كل شيء حولك."

في الدار البيضاء، المدينة الاقتصادية، كل شيء كان في حالة فوضى مطلقة. الأبراج السكنية نصف منهارة، السيارات تحترق في الشوارع، والجثث تنتشر بين الأنقاض. في مركز عمليات الطوارئ، المسؤولون يراقبون الخراب عبر الشاشات:

الوزير الأول، صوته ينفجر بالغضب:
— "الجيش لم يعد موجودًا، الشرطة انهارت... الأسواق تحترق، المدن الساحلية تغرق تحت الأمواج!"

وزيرة الصحة، بوجه شاحب ومرتجف:
— "المستشفيات انهارت... الجثث تتراكم... الأمراض تنتشر بسرعة... لا شيء يمكننا فعله!"

في طنجة، المدينة الساحلية، البحر المتوسط غمر الأحياء بالكامل بعد فيضانات هائلة. السكان يحاولون الفرار بالقوارب المتهالكة، بينما الأمواج تجرف

السيارات والمنازل المدمرة. أحد الناجين، يتحدث بصوت مرتجف مع صديق له:

— "لقد اختفت كل المدينة... الناس يغرقون أمام أعيننا... البحر لم يترك أحدًا على قيد الحياة."

— "لن ننجو... كل شيء انتهى... الموت في كل مكان."

في مراكش، الحرائق اجتاحت المدينة القديمة، الأسواق محروقة، والدخان يغطي السماء. السكان حاولوا الفرار عبر الطرقات الضيقة، لكن الجثث والحطام منعتهم من الحركة. في ساحة المدينة، مجموعة من المدنيين تجمعوا بين الدمار، صرخ أحدهم:

— "هل من نجاة لنا؟ كل شيء يحترق... الشمس نفسها تحرقنا!"

— "لا أمل... لا أحد ينقذنا... المغرب بأكمله أصبح جحيمًا!"

في الصحراء المغربية، موجات اللاجئين تتدفق من المدن المدمرة، الرمال تحرق الأقدام، الحرارة لا تطاق، والمياه مفقودة. عصابات مسلحة تستهدف كل من يحاول العبور، تقتل بلا رحمة، وتنهب ما تبقى من الموارد. أحد الأطفال، يتحدث مع والدته وهو يلهث:

— "أمي... متى سنتوقف عن الجري؟"
— "لا أعرف يا صغيري... لا أعرف... لكن يجب أن نعيش... حتى لو كان الموت يلاحقنا."
وفي كل زاوية، أصوات الانفجارات، الحرائق، الرياح، الصراخ والجثث المتناثرة تجعل المشهد أشبه بكابوس حي. المغرب أصبح ملحمة جهنمية لا نهاية لها، فكل مدينة تحكي قصة موت وفوضى، والسماء تغطي الأرض بالرماد، والبحر يغمر كل ما تبقى من الحضارة.

لكن هل هذا حقا ما تظنون أنه سيحدث ؟

قبل ثلاثين سنة من هذه اللحظة السوداوية، المغرب كان يسير في طريق التطور والازدهار، أو هكذا ظن الجميع. في الرباط، داخل القصر الملكي، انعقد اجتماع طارئ لمجلس الوزراء لمناقشة مشروع الطاقة الجديد الذي وعد بتوفير الكهرباء لكل المدن والمناطق النائية.

رئيس الوزراء،بصوت يعمه قلق:
— "أيها السادة، المغرب يحتاج إلى قفزة نوعية... الطاقة، الزراعة، التكنولوجيا... كل شيء يجب أن يتقدم بسرعة. لكن علينا أن نفكر في العواقب."

نائب رئيس الوزراء، مبتسمًا بحماس مفرط:
— "سيدي، لدينا الفرصة لجعل المغرب دولة رائدة عالميًا في الطاقة الشمسية والنووية، سنربط كل المدن بشبكة ذكية، كل شيء سيكون تحت السيطرة!"

وزير البيئة، بقلق شديد:

— "لكن إذا استثمرنا النووي بهذه السرعة دون اختبار كافٍ، دون تجهيز البنية التحتية، قد تكون هناك مخاطر كارثية... الزلازل، الفيضانات، الحرائق..."

نائب رئيس الوزراء، بحدة:

— "كفى خوفًا! العالم يتحرك بسرعة، ونحن لا يمكننا الانتظار! إذا لم نتحرك الآن، ستتفوق علينا الهند والصين!"

وهكذا، تم اعتماد المشروع الضخم. بدأت الأبراج النووية والمفاعلات الذكية في المدن الكبرى، والشبكات الذكية تربط كل شيء: المصانع، المدن، المياه، الغذاء، حتى نظام النقل. لكن لم يلاحظ أحد تحذيرات العلماء من الفشل التكنولوجي والتأثير المناخي.

بعد عشر سنوات، بدأ النظام الذكي في التصدع. الأعطال التقنية البسيطة تحولت إلى كوارث

ضخمة، الطاقة النووية خرجت عن السيطرة في بعض المفاعلات الصغيرة، والحرائق اندلعت في الشمال بسبب اختلال الشبكات. في اجتماع طارئ، قال وزير الدفاع:

— "سيدي الرئيس... الأنظمة بدأت تنهار، مفاعلات الشمال تواجه أعطالًا حرجة... الحرائق تنتشر بسرعة... السكان يذعرون!"

الرئيس، بوجه شاحب لكنه صارم:

— "هل كان هناك من يحذرنا؟"

وزير الداخلية، يرفع يده متلعثمًا:

— "نعم... لكن المشروع كان ضخمًا جدًا، الضغط السياسي والاقتصادي أجبر الجميع على المضي قدمًا... لقد تجاهلنا التحذيرات..."

مع انهيار الشبكات، بدأت موجات من الفيضانات في المدن الساحلية، ونقص المياه والموارد الغذائية أدى

إلى فوضى عارمة، العصابات المسلحة بدأت تسيطر على المدن، والمواطنون فقدوا الثقة بالحكومة تمامًا.

في الرباط، أحد المسؤولين، منهك من ساعات الفوضى الأولى، قال بصوت مرتجف:

— "سيدي... لم نكن نتوقع أن كل شيء سينهار بهذه السرعة... الحرائق، الفيضانات، المجاعات... كل شيء كان من الممكن تجنبه لو استمعنا للتحذيرات..."

الرئيس، ينظر إلى خارطة المغرب التي تغطيها خطوط حمراء تمثل المخاطر، همس:
— "لقد أسرعنا... طمعنا في القوة والتقدم... والآن، المغرب يدفع الثمن... سيصبح شاهداً على كل أخطاء البشرية..."

وهكذا، بدأت سلسلة الكوارث تتوالى، كل قرار متسرع، كل تجاهل للتحذيرات العلمية، كل تضارب مصالح، وكل سعي وراء السلطة والقوة، كان السبب في أن المغرب أصبح اليوم ملحمة جهنمية، دماره شامل، كل المدن في حالة موت، وكل المواطنين في حالة يأس وفقدان أمل.

بعد الإطلاع على كل هذه التوقعات، دعونا نعد إلى سنة 2025 فعلا ، و سأقربكم من فهم سبب الخطر.

المغرب، 2025

في قلب الرباط، حيث يلتقي التاريخ بالحداثة، كان رئيس الحكومة الحالي الذي أتفادى ذكر إسمه و إسمه نار على علم، يخطط لمستقبل مشرق للمغرب. في اجتماع حكومي مغلق، قال بابتسامة واثقة:

— "المغرب على أعتاب تحول كبير. الطاقة النووية والطاقة المتجددة ستجعلنا في مصاف الدول المتقدمة."

وزير الطاقة، الذي كان يراقب الوثائق أمامه، أضاف بحذر:

— "لكن سيدي، هل نحن مستعدون للبنية التحتية اللازمة؟ هل لدينا الخبرات المحلية للتعامل مع هذه التقنيات المتقدمة؟"

الرئيس، غير مكترث، رد بثقة:

— "لقد وقعنا اتفاقيات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ونحن في مرحلة متقدمة من الدراسات لتطوير برنامج نووي مدني. المستقبل لا ينتظر."

في الواقع، المغرب قد وقع اتفاقيات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ويخطط لتطوير برنامج نووي مدني بعد عام 2030

. كما أن هناك استثمارات كبيرة في مشاريع الطاقة المتجددة، تهدف إلى إنتاج 20 جيجاوات من الطاقة المتجددة
لكن، هل المغرب مستعد لهذه التحولات الكبرى؟ هل لدينا البنية التحتية، الخبرات، والموارد اللازمة لضمان سلامة هذه المشاريع؟

في زاوية أخرى من الرباط، كان أحد الخبراء البيئيين يناقش مع زميله:

— "نعم، الطاقة المتجددة مهمة، ولكن هل فكرنا في التأثير البيئي لهذه المشاريع؟ هل لدينا خطط للتعامل مع النفايات النووية المحتملة؟"

زميله، بنبرة قلق، أجاب:
— "هذه أسئلة مشروعة، لكن يبدو أن الحكومة ماضية في طريقها دون الاستماع للتحذيرات."
وفي الدار البيضاء، كانت الأبراج الذكية والمفاعلات النووية قيد الإنشاء. في أحد المقاهي، كان المواطنون يتحدثون عن هذه المشاريع:

— "هل تعتقدون أننا مستعدون لمثل هذه المشاريع الضخمة؟"

— "لا أظن. الحكومة تتسرع في اتخاذ القرارات دون دراسة كافية."

— "أخشى أن ندفع الثمن غاليًا في المستقبل."
هذه المخاوف ليست بلا أساس. فبينما يسعى المغرب لتحقيق طموحاته في مجال الطاقة، يبقى السؤال: هل نحن مستعدون لتحمل تبعات هذه المشاريع الكبرى؟

و لو إستمر ما خطط له الرئيس الحالي، الذي سيترك البلد فارا بجلده إلى فرنسا ،أو إلى دولة أخرى.فسيحدث ما ذكرناه سابقا بالبند العريض.

بعد انهيار المغرب وانهيار البنية التحتية في شمال إفريقيا، وصل الدمار إلى نيجيريا. الدولة الغنية بالنفط والموارد الطبيعية لم تنجو من الفوضى. المدن الكبرى مثل لاجوس وأبوجا أصبحت ساحات صراع مسلح، بينما الجماعات المسلحة والسياسيون الفاسدون استغلوا الأزمة لإعادة تجارة العبيد على نطاق واسع، مستفيدين من انهيار القانون والنظام الدولي.

في سوق مفتوح على أطراف لاجوس، كان الناس يتسابقون على شراء العبيد. الباعة يصطفون على الأرصفة، يعرضون الرجال والنساء والأطفال بلا رحمة. أحد المشترين، رجل في منتصف العمر، يسأل البائع بصوت متردد لكنه جشع:

— "كم سعر هذا الرجل؟ هل يستطيع العمل في الحقول الشديدة الحرارة؟"

البائع، بابتسامة بلا روح:

— "هذا قوي، يستطيع العمل طوال النهار بلا توقف، السعر خمسين ألف دولار."

رجل آخر، يضغط على بطن شاب مراهق:
— "هل هو قادر على حمل الأحمال الثقيلة؟ هل يمكنه العمل في المناجم؟"

الفتاة الصغيرة تجلس على الأرض، عيونها خاوية، بلا دموع، بينما أمها تحاول التوسل للباعة:
— "لا تأخذوها... إنها طفلة... أرجوكم..."

لكن لا أحد يستمع، الصفقة تتم بسرعة، الناس يساومون على الأسعار، يقارنون بين القوة البدنية للعبيد ، الشباب والصغار، ويختارون الأفضل للعمل في الحقول والمناجم والخدمات القسرية.

في أحد الأزقة، طفل آخر يسأل بائسًا أحد المشترين:
— "كم ستدفع لي مقابل أن أعيش؟"

المشتري يضحك ببرود:
— "أنت لست للبيع... لكن اجعلها درسًا... العالم

تغير، من يملك القوة يملك كل شيء..."

وفي قلب العاصمة، السياسيون والجماعات المسلحة يناقشون هذا "السوق" على أنه مشروع اقتصادي جديد، يتبادلون المعلومات عن الأسعار، القوة، التحمل، حتى الخصائص البدنية للعبيد.

أحد القادة المحليين يقول في اجتماع مغلق:
— "العبيد هم مستقبلنا... العالم انهار، والناس بحاجة للعمل... إذا لم نستغل هذا الوضع، سنفقد السيطرة على الموارد والبنية التحتية..."

هذا المشهد السوداوي يعكس كيف أن الانهيار العالمي لم يدمّر المدن فقط، بل أعاد التاريخ إلى الوراء، لتعود تجارة البشر كما كانت قبل قرون، في عالم أصبح فيه كل شيء مباحًا، والأقوى يسيطر على كل شيء، والضعفاء يصبحون عبيدًا بلا أي حقوق أو أمل.

الدماء تلطخ الأرض في لاجوس، الشوارع مليئة بالجثث، الأبنية تحترق، والريح تحمل رائحة الموت والرماد. الأسواق المفتوحة لتجارة العبيد لم تعد مجرد أماكن للتفاوض، بل ساحات قتل.

أحد المشترين يشد غلامًا على شعره:

— "هل يستطيع القتال إذا حاول الهرب؟"

— "نعم، سيد... يستطيع التحمل والضرب بلا توقف..."

فتاة صغيرة تبكي وهي تجلس على الأرض، دموعها ممزوجة بالغبار:

— "أمي... أريد أن أعود إلى البيت..."

لكن أمها مقيدة من قبل عصابة مسلحة، والباعة يصرخون:

— "من يدفع أكثر؟ من يشتري القوة، يشتري الحياة!"

في أعماق المدينة، الانفجارات تهز الأبنية، والمياه

المتدفقة من القنوات المكسورة تغرق الأحياء الفقيرة، الأطفال والنساء يصرخون، الجنود السابقون يقاتلون العصابات، والرصاص يختلط بالدماء.

الخرطوم غرقت بالكامل بسبب الفيضانات الناتجة عن انهيار السدود ، ومئات الآلاف غرقوا. القرى المحيطة أصبحت جزرًا طافية، والناس يتقاتلون على القوارب الصغيرة.

أحد القادة القبليين يصرخ:
— "من يحصل على الطعام والمياه، يملك الحياة... اقتل من لا يملك قوتك!"

امرأة تحمل طفلها، تصرخ في أحد الأزقة:
— "ساعدوني! لقد غرق زوجي! إنقاذ واحد فقط سيبقي عائلتي على قيد الحياة!"

بينما الجماعات المسلحة تستغل الفوضى لإعادة فرض سيطرتها، الأطفال يُباعون للعبودية، والمراهقون يُجندون في صفوف القتلة.
الغابات الماطرة في الكونغو تحترق نتيجة الحرائق الناتجة عن الإهمال والنشاط العسكري، السكان يفرون مع الحيوانات البرية، الجسور تنهار، الطرق تتحول إلى أوحال.

تاجر عبيد يمسك برجل مقيد:

— "هل يستطيع حمل الحطب والنحاس؟ هل يستطيع العمل في المناجم؟"

المشتري، مبتسم بدم بارد:
— "إذا لم يستطع، سنراه يموت... القوة فقط هي ما يبقى."
الأطفال يصرخون، النساء يتوسلن الرحمة، لكن لا أحد يستمع، كل شيء أصبح سوق دموي للعبيد والقوة.

مومباسا وناكورو غمرتها مياه البحر بسبب ارتفاع منسوب المياه، الأبنية تتحطم، الناس يركضون بين الأمواج والحرائق المتزامنة.

رجل يصرخ لمجموعة من اللاجئين:
— "اركبوا القوارب الصغيرة، فقط الأقوى سينجو!"

طفل يسأل والدته:
— "متى سنرى الشمس مجددًا؟"
— "لن نراها... كل شيء أصبح رمادًا... الموت يحاصرنا من كل جانب..."
أكرا، المدينة الاقتصادية، تحولت إلى ساحة دماء وفوضى، الأسواق مزقتها الحرائق، العصابات المسلحة تبيع الناس كما تُباع السلع.
أحد الباعة يصرخ:
— "هذا الرجل قوي، يستطيع حمل 100 كيلو من الذهب في اليوم... تسعون ألف دولار فقط!"

مشتري آخر، يضحك ببرود:

— "لن أهتم... إذا لم يتحمل، سأعاقبه حتى الموت... القوة فقط هي ما تبقى."

الأطفال يبكون، النساء تصرخ، الدماء تمتزج مع الرماد والمياه، وكل شيء مظلم، والسماء حمراء كالجحيم.

في مرتفعات أثيوبيا، قبائل صغيرة تحاول النجاة من موجات المجاعات المتصاعدة والصراعات القبلية.

القرى تشتعل، الأطفال يصرخون، النساء يحاولن الاختباء، لكن القوات المسلحة المسلحة تتجول في الطرقات، تقضي على كل من يرفض الانصياع.

أحد الزعماء المحليين يصيح:

— "من لا يملك القوة و المال و النسب، لن يعيش! من يرفض التسليم، سنذبحه أمام الجميع!"

رجال ملثمون يدخلون القرية، يذبحون الرجال والشيوخ، الأطفال يفرون في الغابات، والنساء تُجبر على العمل كعبيد و بائعات هوى.

فتاة صغيرة تبكي وهي تحتمي بشجرة:
— "لماذا؟ لم نؤذ أحدًا!"

أحد الجنود، بابتسامة مروعة:
— "هذا هو القانون الجديد... البقاء للأقوى فقط!"
في دار السلام، الأسواق أصبحت ساحات سباق بشري بين العائلات والمشترين، العبيد يُساقون في صفوف، ويتم اختيار الأفضل للشراء أو الإعدام المباشر إذا لم يظهروا القوة المطلوبة.

أحد المشترين يشد غلامًا على كتفه:
— "هل يستطيع الركض عشرة كيلومترات دون توقف؟ هل يمكنه العمل ثلاثة أيام متواصلة بدون نوم؟"
البائع ضاحكا مبرزا أسنانه النتنة:
— "نعم، وإذا فشل، فسنراه يموت أمام الجميع...
القوي فقط هو من يبقى."

سيدة تبكي وهي تحاول التوسط:
— "هذا طفلي... أرجوكم، أرجوكم!"

لكن لا أحد يستمع، الصرخات والدماء تغطي الأرض، والسماء حمراء كما لو كانت تحرق الجميع.
في أنغولا، الصراعات على النفط والمعادن أثارت حروبًا طاحنة بين القبائل والجماعات المسلحة. القرى تُحرق بالكامل، السكان يُذبحون بلا تمييز، والأطفال يُجندون كجنود أو يُباعون للعبودية.

قائد مسلح يصرخ على رجاله:
— "احرقوا كل شيء! لا تبقوا أحدًا على قيد الحياة!"
امرأة تهرب مع أطفالها، تتعرض لإطلاق نار، طفل يسقط ويبكي:
— "أمي... لا أستطيع النهوض..."
والأب يصرخ بصوت محطم:
— "اهربوا... اهربوا! لا تنظروا للخلف!"

الصحراء الليبية تحولت إلى بحر من الرمال المتحركة، النيران تحرق المخيمات، والصراعات بين الميليشيات المسلحة أصبحت يومية ودموية.

قائد ميليشيا يصرخ على رجاله:
— "احرقوا القرى الصغيرة! كل من يعارضنا سيموت! لن نترك أحدًا حيًا!"

أحد السكان، محاصرًا وسط الرمال والنيران، يقول لصديقه:
— "لقد فقدنا كل شيء... الماء، الطعام، وحتى طريق النجاة..."

الأطفال يصرخون بينما الرجال يحاولون الدفاع عن القليل من الموارد، لكن كل شيء محاصر بالنيران والرمال والعنف المتسارع.

مقديشو مدينة أشباح، الأمواج تجرف الشوارع، الطعام منعدِ، والمرض ينتشر بسرعة رهيبة بين السكان.

حقول النفط انفجرت بسبب القصف المتبادل بين العصابات المسلحة، النار تغطي السماء، السموم تنتشر في الأرض والهواء.
البراكين في الشمال والجنوب تنهار بشكل مفاجئ، الحمم تدمر القرى والمدن، والرياح تحمل الرماد آلاف الكيلومترات.

أحد السكان يصرخ أثناء فراره:
— "الجبل يحرقنا... كل شيء سينتهي!"

العائلات تحاول الاختباء في الكهوف، لكن الانهيارات الأرضية والحمم تحاصرهم، الأطفال يصرخون، والسماء تتلون بالحمرة الداكنة، كل شيء أصبح جهنما أرعنا.

في الكاميرون، وسط جبال الأطلس المحاكية للغابات الكثيفة، بدأت الأزمة بعد فشل الحكومة في السيطرة على النزاعات بين القبائل. قبيلة الباسو والبيكا دخلتا في صراع دموي على الأراضي الخصبة والأنهار.

الليل يغطي مدينة ياوندي، الجثث تتراكم في الأزقة، والسماء ملبدة بالغيوم الحمراء. في أحد المنازل المهجورة، شاب من قبيلة الباسو، أكونج موتو، يجلس على حافة نافذة الطابق الثالث، يحدق في المدينة المدمرة:

— "كل شيء انتهى... لم أعد أستطيع... لقد فقدت كل شيء..."

أخته الصغيرة، ليزا موتو، تتوسل:

— "أكونج! لا تفعل... هناك دائمًا أمل!"

لكن أكونج يبتسم ابتسامة سوداوية، كما لو كان يدرك سخافة الحياة في هذا العالم:

— "الأمل؟ أليست الحياة نفسها كوميديا سوداء؟ كل يوم نموت ونحيا لنرى الجثث والألم... أفضل أن أختصرها."

ينهار، ويسقط في العدم، بينما ليزا تصرخ باكية، والجيران من قبيلة بيكا يراقبون من الخارج، غير قادرين على المساعدة وسط الفوضى.

في ليبرفيل، الصراع على الموارد بين قبيلة فيلا وأوكو يتحول إلى حرب أهلية هزلية ودموية في الوقت ذاته. البنادق تُطلق على المدنيين، لكن بعض الجنود يضحكون على عبثية الوضع:

— "هل ترى يا جوناثان؟ نحن نطلق النار على بعضنا، والجميع يموت... وكل شيء مجرد كوميديا سوداء!"

جوناثان، جندي من قبيلة أوكو، يبتسم:
— "نعم... الحياة هنا مثل مسرحية هزلية... ولكن الدم حقيقي."

المدن تنهار، السيارات تحترق، الأطفال يصرخون، وبين الفوضى، أحد المدنيين، بيتر أكوللي، يقف على سطح مبنى، يكتب رسالة انتحار على ورقة:
— "إلى العالم الذي لا يفهم سوى الدم... لم أعد أطيق العيش في مسرح الموت هذا..."
ثم يقفز، لتختلط مشاعر المأساة بالدهشة والسخرية

السوداء، حيث بعض المارة يرمقونه بعبارات كوميدية حزينة:

— "حسنًا... على الأقل اختصر الطريق!"

في بانغي، الأنهار خرجت عن ضفافها بعد الفيضانات الهائلة، المجاعات والحرائق تجتاح القرى. قبيلة زاندة تقاتل قبيلة باجا على الموارد، والأطفال يختفون وسط الفوضى.

أحد شيوخ القبيلة، أبابو نامبيلي، يرى شباب القبيلة ينهارون، البعض يلجأ للانتحار كخيار أخير للهروب من الفظائع:

— "لقد أكلنا البشر بعضنا البعض... الموت أصبح حلاً... الحياة هنا مجرد مزيج من الضحك والموت."

شاب يُدعى كوفو نامبيلي يكتب على جدران القرية:

— "كل يوم هو سخرية من الحياة... الدم، الفيضانات، الجوع... والسماء تمطر دماءنا."

القبيلة بأكملها تشهد مشاهد مروعة من الانتحار الجماعي،

لكن بطريقة سوداوية وكوميدية، حيث بعض الشخصيات تتصرف وكأنها ممثلة في مسرحية هزلية، تتجادل مع الموت كأنه شخصية واقعية.
في أعماق الكونغو، الحرائق والفيضانات تنتشر مع انفجارات في المناجم القديمة. قبائل مونغو وباكونغو تتقاتل على الذهب والماس، بينما الجنود المنهكون من الحرب يقررون الانتحار في مجموعات:

— "لقد استنزفنا كل شيء... الدم، الموارد، الناس... علينا أن نختصر هذا العذاب!"

أحد القادة، مبابا كوزا، يبتسم بطريقة سوداوية:
— "نعم... الحياة مجرد لعبة دم، وإذا لم نمت، سنبقى نرى الموت حولنا... لذا لننهي اللعبة بأنفسنا!"
الجنود يقفزون في النهر المشتعل، بينما النيران تلتهم الغابات، والسماء تمطر رمادًا. الأطفال يبكون، النساء تصرخ، والغابة كلها تتحول إلى لوحة مروعة ومأساوية، مشهد يجمع بين الكوميديا السوداء والموت الجماعي.

في صحراء ناميبيا الشاسعة، الجفاف القاتل قضى على كل شيء، المياه اختفت، والقبائل القديمة مثل هيمبا وناما تحارب للبقاء على قيد الحياة.

تومبو هيمبا، شيخ قبيلة، يصرخ أمام جماعته:
— "من لا يستطيع الوصول إلى الماء سيموت هنا... هذا هو حكم الطبيعة!"

أحد الشباب، كامي ناما، ينظر إلى الأشجار اليابسة والطيور الميتة:
— "لقد خسرنا كل شيء... الأرض، السماء، حتى الأمل..."

الجماعات تتقاتل على القليل من الموارد، والموت يحاصر الجميع، والسماء ملبدة بالغبار الأحمر الذي يشبه الدم. الأمطار المفاجئة أغرقت الأراضي الزراعية، الأنهر جرفت القرى، الحيوانات والناس يموتون في الوقت ذاته. قبائل تسوانا وكالاهاري تتقاتل على الموارد القليلة.

الجنود والقوات المسلحة المحلية تستغل الفوضى لسرقة القرى وفرض سيطرتها، الأطفال والنساء يُقتلون في الطرقات، والمدن تتحول إلى ساحات موت حقيقية. الأمطار الغزيرة والفيضانات المفاجئة حولت شوارع داكار إلى أنهار عميقة، والجسور تنهار، البيوت تُغرق بسرعة.

أمادو ندوي، رجل خمسيني، يحاول إنقاذ أسرته من المياه:
— "ابقوا قريبين مني... لا تفقدوا الأمل... نحن محاصرون!"

لكن المياه جرفت السيارة الصغيرة التي كانوا يختبئون فيها، الأطفال يصرخون، والوالد يقف عاجزًا، بينما السكان الآخرين يحاولون النجاة بأي وسيلة.

في أحياء فقيرة، المجاعات بدأت تنتشر بسبب انقطاع الإمدادات الغذائية، والمستشفيات عاجزة عن معالجة المرضى.

سيدو دوغون، شيخ القبيلة، يصرخ على الشباب:
— "من لا يشارك في الدفاع عن القرى سيموت... هذه هي الحياة الآن!"

المعارك بين القبائل تترك جثثًا متناثرة في الصحراء، الأطفال والنساء يختبئون، والحرارة الشديدة تجعل البقاء على قيد الحياة شبه مستحيل.
مدن مثل نجامينا والعبور الصغير إلى القرى حولتها النزاعات المسلحة إلى ساحات دماء، السكان يفرون أو يُقتلون على الطرقات.

فاتيمه كيمبا، امرأة من نجامينا، تحاول حماية أطفالها:
— "لا نملك ما يكفي... سنموت إن بقينا هنا... اهربوا!"

المنازل تحترق، الجنود ينهبون القرى، والمياه ملوثة، الأمراض تنتشر بسرعة، الأطفال يموتون قبل أن يكبروا، والسماء مظلمة بالرماد والغبار.

حسن علي، صياد محلي، يحاول إنقاذ عائلته من النيران:
— "ركضوا! لن ينجو أحد إذا بقينا هنا!"

لكن الأمواج الساخنة تبتلع الأرض، أحد الأطفال يعلق في الحمم، والوالد يشاهد موت ابنه أمام عينيه، الدماء والرماد يمتزجان على الأرض، والقرية كلها تصبح ساحة دمار جماعية.

بإريتريا ،الجبال المحيطة بأسمرة انهارت بعد الأمطار الغزيرة، الغابات تحترق، والطرق مقطوعة.

محمود غيبري، رجل من سكان الجبال، يحاول النجاة مع قريبه:
— "أهربوا! الصخور تنهار فوقنا!"

أحد الجنود المحليين يحاول استغلال الفوضى، ويقتل القرويين الذين يحاولون عبور الجسر المعلق، الدماء تتناثر على الصخور، والجثث تتدحرج في الوادي.

في مدن سيشيل الساحلية، الأعاصير العنيفة جرفت المنازل والشوارع، السكان محاصرون بين المياه والرياح العاتية.

جان لوي، صياد محلي، يحاول سحب قارب صغير:
— "تمسك جيدًا! المياه لن ترحم أحدًا!"

أحد الأطفال ينقلب في الأمواج ويختنق، والوالد يشاهد الأمر عاجزًا، المدن تتحول إلى بحر من الدمار والدماء والركام.
في القاهرة، النيل فاض فجأة بعد أمطار غزيرة غير مسبوقة، السدود لم تصمد، المياه اجتاحت الشوارع، المصانع والمنازل انهارت، والطرق أصبحت أنهارًا قاتلة.

محمد النفاحي، موظف حكومي، يحاول إنقاذ عائلته من الطوفان:
— "تمسكوا جيدًا! الطريق يغمره الماء، لن نستطيع العودة إذا غمرنا بالكامل!"

بينما يحاولون العبور عبر جسر متهالك، جرفت المياه رجلاً وأمه، الدماء امتزجت بالمياه، وصرخات الأطفال ترتفع فوق هدير الأمواج.

في حي الجيزة، العصابات المسلحة بدأت تسرق المنازل، القتل أصبح مفتوحًا في كل شارع
حسن السيوفي، جندي سابق، يصرخ في وجه عصابة مسلحة :
— "من يقترب من هذه البناية سيموت... كل شيء انتهى!"

لكن العصابة لم تسمع، يقتلون رجلاً حاول الدفاع عن أسرته، والدماء تتناثر على الجدران والممرات الضيقة، والمدينة كلها تتحول إلى ساحة حرب حقيقية، مليئة بالموت والفوضى.

في الصعيد ، المجاعات تنتشر بسبب قطع الطرق وانهيار الزراعة، القبائل المحلية تتقاتل على بقايا الغذاء، الأطفال يموتون من الجوع، والنساء يصرخن من الألم

والعجز، والسماء مغطاة بالرماد والغبار الذي يغطي كل شيء.

أحد الشيوخ، الشيخ حاتم، يقول بصوت مرتعش:
— "لقد انتهى كل شيء... من لم يمت غرقًا، سيعاني الموت ببطء... وهذه مصرنا الآن، أرض النيل المميت."

ستسألني بنبرة غريبة :
"كيف سيحدث كل هذا يا زكريا ؟ "

ببساطة ،في سنة 2025، هناك سيناريو مثير، حيث أن العالم اعتقد أنه وصل إلى مرحلة تقدم مذهل لكن الحقيقة كانت صادمة، ففي أعماق الأرض، تحالف سري من القوى الكبرى اجتمع واتخذ قرارًا لم يعلن عنه للعالم، اجتمع رؤساء وملوك ومسؤولون كبار من أمريكا والصين وروسيا وأوروبا وأصدروا حكمًا مصيريًا: "سنختبر قدرة البشرية على البقاء عندما تُحرم من الموارد الأساسية وسنجعل إفريقيا أرض الاختبار الكبرى، كل دولة ستكون ساحة للتجربة." وبداية التنفيذ كانت

في هذه اللحظة، بدأ تنفيذ خطة "الأرض المحترقة"، وهي سلسلة متزامنة من التجارب الطبيعية والصناعية التي لم تُجرى من قبل:

إطلاق موجات حرائق صناعية وانتشار السموم البيئية في شمال ووسط القارة.تفجيرات مخفية في السدود والأنهار الكبرى لتغرق المدن الكبرى مثل القاهرة وداكار ونجامينا.تسريب فيروسات وأمراض نادرة إلى مناطق محددة، بهدف اختبار قدرة السكان على النجاة، وخلق وباء شامل.تحريك الجماعات المسلحة والقبائل ضد بعضها البعض بطريقة دقيقة، ليصبح الصراع على الموارد حقيقيًا ومميتًا، وهو ما بدأ يظهر في بوركينا فاسو، النيجر، وزيمبابوي.تلاعب مناخي محوسب، أدى إلى أمطار غزيرة وانهيارات أرضية مفاجئة، وبراكين مفاجئة مثل في جيبوتي وتنزانيا، وحرائق متزامنة في جنوب إفريقيا وزامبيا.

في كل دولة، المسؤولون المحليون كانوا متعاونين دون أن يعرفوا الهدف النهائي، مستثمرين في مشاريع تُسمى "تطوير البلاد" لكنها كانت جزءًا من الخطة.

ففي المغرب الرئيس استثمر في مشاريع الطاقة النووية والتكنولوجية بشكل أعمى، دون قياس الأضرار البيئية، ما جعل البلاد أكثر عرضة للفيضانات والزلازل.و بمصر استثمارات ضخمة في السدود وتغيير مجرى النيل ساعدت على تضخيم تأثير الفيضان، وكأن القاهرة صممت لتكون أول مدينة تنهار.أما في إفريقيا الوسطى وشرقها فالمسؤولون المحليون دعموا شركات استخراج المعادن والغاز دون رقابة، مما أدى إلى انفجارات كارثية لاحقًا.

- بهذا القرار السري، أصبح كل بلد إفريقي ساحة اختبار مختلفة:شمال إفريقيا: حرائق وبراكين وانهيارات مفاجئة.غرب إفريقيا: مجاعات وحروب أهلية بسبب نقص الموارد.وسط وشرق إفريقيا: انفجارات صناعية وأمراض مميتة.جنوب إفريقيا: فيضانات وانهيارات أرضية متزامنة.

والأحداث لم تكن مجرد حوادث طبيعية، بل مخططًا دقيقًا جدًا من القوة العالمية لإعادة كتابة التاريخ البشري، بحيث تصبح إفريقيا كلها كابوسًا حيًا، والأمم الأخرى تراقب دون تدخل مباشر، تحسبًا لاختبار قدرة البشر على النجاة.

الجزء الثاني :
أرض
الشمس
المحترقة

اليابان، تلك الأرض التي كانت تُلقب يومًا بـ"بلاد الشمس المشرقة"، تحولت بين ليلة وضحاها إلى مسرح جحيم أسود لم يعرف له التاريخ مثيلًا. لم يكن الأمر مجرد حرب، بل عملية مسح كاملة للهوية، إبادة ثقافية وروحية، جعلت اليابانيين أنفسهم عاجزين عن التعرف على وطنهم.

كانت البداية حين اجتاحت السفن الهندية سواحل أوساكا، محملة بالجنود، بينما السماء تتوهج بنيران الصواريخ. المدن اليابانية التي اعتادت النظام الصارم والترتيب الدقيق غرقت في الفوضى. طوكيو لم تعد مدينة المستقبل، بل تحولت إلى أطلال، ناطحات السحاب انهارت فوق بعضها، وأصوات الانفجارات صارت موسيقى جديدة لليابان.

في قاعة البرلمان الياباني المحترق، وقف رئيس الوزراء محاصرًا بين وزرائه، عرقه يتصبب وهو يصرخ:
- "أين كان حلفاؤنا؟ أين كانت أمريكا؟ أين أوروبا؟ تركونا وحدنا كاليتامى أمام هذا الغزو!"

فيرد عليه وزير الدفاع بصوت مرتجف:

- "لقد باعونا، يا سيدي... العالم كله تركنا، كانوا يرون في سقوط اليابان نهاية حضارة منافسة."

يتدخل رجل مسن، أحد الناجين من هيروشيما، صوته مبحوح:

- "في 1945 ألقوا علينا القنبلة النووية وقالوا إننا سننهض، ونهضنا. لكن هذه المرة لا نهوض... هذه المرة يريدون قتل الروح نفسها."

في الشوارع، مشاهد لا توصف: نساء يابانيات يُسحبن من بيوتهن، يُجبرن على ارتداء الأزياء الهندية التقليدية بدل الكيمونو، بينما يُحظر على الرجال حتى الحديث بلغتهم.

أحد الضباط الهنود يقف فوق منصة ويصرخ بالناس:

- "من اليوم، لغة اليابان ماتت. من يتحدث بها يُعدم. لا أنمي، لا مانغا، لا ساموراي... فقط الهند العظمى!"

شاب ياباني في العشرينات يقف متحديًا أمام الحشود، يصرخ بكل ما تبقى له من شجاعة:

ـ "أنتم تستطيعون قتل أجسادنا، لكن لن تمحوا روح الساموراي!"
قبل أن يكمل، يأتيه رصاصة مباشرة في رأسه، يسقط على الأرض، دماؤه ترسم خطوطًا حمراء على الإسفلت، والجنود يضحكون ببرود.

وفي معبد كيوتو القديم، اجتمع بعض الرهبان محاولين حماية التماثيل البوذية المقدسة. لكن الجنود اقتحموا المكان، حطموا التماثيل بمطارق حديدية. أحد الرهبان سقط على الأرض وهو يبكي:
ـ "لقد قضوا على ألف عام من الروح في دقائق!"
فيرد عليه جندي هندي بابتسامة ساخرة:
ـ "روحكم مجرد حجر... انتهت صلاحيتها."

أما الأطفال... فقد كان لهم النصيب الأكثر قسوة. في المدارس، أُجبروا على ترديد الأناشيد الهندية كل صباح، فيما المعلمين اليابانيين يقفون صامتين تحت التهديد.
طفلة صغيرة رفعت يدها وسألت:

- "سيد، لماذا لا نقرأ هايكو اليوم؟"
فصفعها الجندي حتى وقعت أرضًا وهو يقول:
- "هايكو انتهى! الآن ستغنين بلغتنا أو تُدفنين!"

في الأحياء القديمة من طوكيو، جلس شاعر ياباني عجوز في قبو مظلم، يكتب بشموع تذوب:
- "لقد غطى دخان الغرباء سماءنا، وأطفأوا شمسنا. أحرقوا الساكورا، وداسوا على أرواح أجدادنا. لم يعد لليابان وجه، لم يعد لها لسان. لكنني سأكتب، حتى لو لم يبق قارئ واحد..."
بعد دقائق، اقتحم الجنود القبو، وجدوا الأوراق، ضحكوا ساخرين ثم مزقوها، وأحرقوا جسده مع بيته.

وفي بث تلفزيوني عالمي، ظهر زعيم الهند يعلن للعالم:
- "لقد طوينا صفحة اليابان... لم تعد موجودة كأمة. من اليوم، هي مقاطعة هندية، وسيذكر التاريخ أن حضارة عظمى ماتت أمام أعينكم وأنكم لم تفعلوا شيئًا."
العالم صمت، بينما اليابانيون يصرخون في الظلام.

حتى الكيمونو، رمز الجمال، أصبح جريمة. أي امرأة ترتديه تُسحل في الشوارع. في أحد المشاهد، عجوزة يابانية رفضت التخلي عن كيمونو زفافها، تم رميها في النار حيّة أمام أحفادها وهي تصرخ:
- "خذوا جسدي، لكن لا تأخذوا ثوبي!"
أحفادها ظلوا يصرخون حتى بحّت أصواتهم، فيما الجنود يضحكون.

وفي النهاية، لم يعد هناك "يابان". لم يبق إلا رماد مدنها، وذاكرة محطمة في قلوب من عاشوا الكارثة. في كتاب التاريخ الجديد، الذي كتب بلغة الغازي، لم يعد هناك فصل اسمه اليابان.

اليابان لم تُحتل فقط... اليابان مُسحت. الهند لم تكتفِ بالسيطرة العسكرية، بل شرعت في مشروع أعظم: محو ذاكرة شعب عاش آلاف السنين، وقطع جذور حضارة كاملة من تحت الأرض.
في طوكيو، بعد شهور من الغزو، أُقيمت "المحكمة

الثقافية"، حيث يُحاكم كل ما هو ياباني. على منصة كبيرة عُلقت لوحات هوكوساي وأعمال ميازاكي وتماثيل الساموراي. وقف قاضٍ هندي وقال أمام حشد من الناس:

ـ "هذه ليست فنونًا... هذه أدوات تمرد. هذه ليست حضارة... هذه أصنام يجب حرقها."

صفق الجنود، وأُضرمت النيران في الأعمال الفنية، فيما الشعب يشاهد صامتًا، بعضهم يجهش بالبكاء، وبعضهم يُخفي صرخاته خوفًا من الموت.

في مقهى سري بطوكيو، اجتمع مثقفون يابانيون يتناقشون:

الأول، بعينين دامعتين:

ـ "لقد أخذوا منا اللغة... حتى الأسماء صاروا يجبروننا على تغييرها. كيف سنبقى نحن ونحن بلا أسماء؟"

الثاني يضرب الطاولة:

ـ "اللغة ليست حروفًا... اللغة دماء، ما دام قلبنا ينبض يابانيًا لن ينتصروا."

يتدخل ثالث يائس:

ـ "لا تخدع نفسك... اليوم سمعت ابني يغني بالأغنية الهندية وهو يضحك... لقد بدأوا يمحوننا من داخلنا."

في كيوتو، عاصمة الروح القديمة، تم إغلاق جميع المدارس التي تُدرّس التاريخ الياباني. استُبدلت الكتب بكتب هندية تُعيد صياغة الماضي. جاء في إحدى الصفحات: "اليابان لم تكن أمة، كانت مجرد أرض تنتظر أن تصنعها الهند."

في الصف، رفع طفل يده وقال ببراءة:

ـ "لكن أبي قال إن أجدادنا كانوا ساموراي."

صرخ عليه المعلم، الذي أجبر على الخضوع:

ـ "اسكت! إنهم يسمعوننا!"

لكن الجندي المراقب في الخلف ابتسم ببرود وقال:

ـ "أحسنت أيها الطفل... قريبًا لن تقول هذا مجددًا، ستنسى."

وفي هوكايدو، الشمال البعيد، حيث لا تزال بعض القبائل الصغيرة تقاوم، حدثت مشاهد أشد قسوة. امرأة عجوز من

قبائل الأينو كانت تعلّم أحفادها أغاني الأجداد سرًا. فجأة اقتحم الجنود الكوخ. الضابط صاح:

- "تجرؤين على تعليم هؤلاء القذارة؟!"

أمسكوا بالأحفاد أمامها، ثم قال ببرود:

- "اختاري... إمّا تغنين بلغتنا، أو نشويهم أمامك."

المرأة صرخت بحرقة، وقلبها يتمزق:

- "خذوا حياتي، لكن لا تأخذوا أصواتهم!"

فأحرقوها وهي حيّة، وأجبروا الأحفاد على الغناء بلغة الغزاة فوق صرخاتها.

أما طوكيو، فقد تحولت إلى مختبر عملاق لمحو الهوية. الشوارع مُلئت بشاشات دعائية تعرض على مدار الساعة مقاطع موسيقية هندية، إعلانات باللغة الهندية، وجنود يجبرون الناس على الرقص. كل يوم يُعتقل من يتحدث اليابانية في العلن. لم يعد يسمع صوت الشعر أو الهايكو... فقط ضحكات الجنود وهم يسحقون الكلمات.

وفي أحد أكثر المشاهد قسوة، جُمعت آلاف المخطوطات

القديمة من الأدب الياباني في ملعب ضخم. احتشد الناس مرغمين يشاهدون. ضابط هندي صرخ عبر مكبر الصوت:
- "من اليوم، اليابان تبدأ من الصفر... من تاريخنا نحن."
ثم أشعل النيران في الكتب. ألسنة اللهب التهمت التراث كله، والناس يبكون بصمت. أحد الأساتذة المسنين همس لتلميذه وهو يراقب:
- "انظر جيدًا يا بني... هذه ليست كتبًا تحترق... هذا نحن، نحن الذين نحترق."

لم يتوقف الغزاة عند الثقافة فقط، بل حتى الطعام الياباني حُظر. السوشي اعتُبر "طعامًا رجعيًا"، والرامن جريمة. في مطاعم الشوارع، أُجبر الطهاة على تقديم أطعمة هندية فقط. أحد الطهاة اليابانيين، بعدما أُجبر على طبخ طبق لا يعرفه، همس لزميله:
- "لقد سرقوا حتى مطبخنا... أي موت هذا؟"
وفي النهاية، لم تعد اليابان دولة محتلة فحسب، بل صارت أرضًا بلا ذاكرة. الجيل الجديد بدأ يظن حقًا أن الهند كانت هي الأم، وأن اليابان لم تكن سوى مقاطعة متمردة.

هنا، في هذه اللحظة، وصل الغزو إلى ذروته: لم يعد القتل بالسيف أو الرصاصة، بل بالذاكرة نفسها.

وفي آخر مشهد، على جبل فوجي الذي ما زال واقفًا كحارس صامت، تسلق شاعر شاب ياباني، وقف على قمته، نظر إلى السماء وصرخ:
- "إن لم تبق اليابان على الأرض، فستبقى في الغيوم. إن لم تعش في التاريخ، ستبقى في صدى الريح!"
ثم قفز من أعالي الجبل، تاركًا صدى صرخته يتردد في الفضاء... آخر صرخة لليابان التي كانت يومًا بلاد الشمس المشرقة.

يرجع سبب هذا في سنة 2025 ،كتبت الصحف العالمية: "اليابان تستقبل أكثر من خمسمئة ألف مهاجر هندي في أكبر موجة بشرية تهبط على الأرخبيل منذ عقود."
الصور التي غطت الصحف كانت مدهشة: طوابير لا تنتهي في مطارات طوكيو وأوساكا، عائلات تحمل أطفالاً، رجال

يحملون حقائب مليئة بالأحلام، ونساء يبتسمن بارتباك. اليابان، التي لطالما عانت من شيخوخة سكانية ونقص في اليد العاملة، فتحت أبوابها على مصراعيها، معلنة مشروعاً يُعد "التبادل الثقافي والاقتصادي الأعظم في التاريخ المعاصر."

لكن ما بدا كحل اقتصادي وبصيغة انسانية، كان في جوهره بداية كارثة أسطورية. فمع كل مهاجر يصل، كان يزرع بذوراً صامتة في المجتمع الياباني: قصص زواج ومواليد مندمجين في المدارس، لغات ولهجات جديدة تصدح في الشوارع، ثقافات مختلفة تتشابك مع الثقافة اليابانية الأصيلة، وببطء بدأ المجتمع الأصلي يشعر أن الأرض التي عاش عليها أجداده منذ آلاف السنين بدأت تنزلق من بين يديه.

في البرلمان الياباني، اندلعت المداولات:
ـ نائب قومي صارخاً: "لقد فتحنا أبوابنا لهم... سيأخذون مدننا، أطفالنا، هوية أجدادنا!"

ـ نائب آخر، معتدل: "إنهم جزء من المستقبل، كيف يمكن أن نرفض نصف مليون إنسان، أطفالهم يذهبون إلى مدارسنا ويعرفون لغتنا؟"

رئيس الوزراء فوميو كيشيدا جلس صامتاً، يراقب النقاش، وعيناه تحملان برود لا يعرفه سوى صانع القرار:
"نحن نزرع حياتهم هنا، لكننا أيضاً نزرع بذور العاصفة التي قد تهز اليابان كلها."

مودي من جانبه، رأى في الهجرة فرصة استراتيجية: نصف مليون هندي الآن في قلب اليابان، سيصبحون قاعدة داخلية لتوسيع النفوذ الهندي، وجسرًا للسيطرة الثقافية والاقتصادية مستقبلًا. في اجتماعه مع مستشاريه المغلق، قال:
ـ "اليابان فتحت أبوابها، ونحن سنزرع بينهم قيمنا، ثقافتنا، أيديولوجيتنا... ولن تعرف الأمة اليابانية بعد ذلك من هو من وماذا تمثل أرض الشمس المشرقة."

وهكذا، لم تكن الهجرة مجرد حركة بشرية، بل شرارة أسطورية: كل أسرة هندية وصلت، كل طفل ولد من تزاوج بين الهنديين واليابانيين، كان يزرع في اليابان بذور صراع مستقبلي. هذه البذور التي بدا أنها مجرد تنوع ثقافي، تحولت لاحقاً إلى جذر الخطر، إلى حكاية بدأت في الصحف ثم امتدت لتصبح غزوًا، دمًا، وانهيارًا للحضارة اليابانية، لتكتب التاريخ من جديد بأسلوب لا يرحم.

في قلب صيف 2025، كانت الأرض الفلسطينية تتنفس تحت سماء مشبعة بالغبار والدخان. في غزة، كان السكان يتنقلون بين المباني المدمرة، يحسبون كل خطوة قبل أن يخطوها، كأنهم يمشون على جمرٍ ساخن لا يرحم.

الإعلام الدولي أعلن ببرود أن قراراً جديداً أُصدر من الحكومة الإسرائيلية يفرض إجراءات أمنية مشددة على الأراضي الفلسطينية، بحجة منع تهريب الأسلحة وحماية المستوطنات. لكن على الأرض، كان القرار مجرد غطاء لعمليات هجومية موسعة، حيث بدأت قوات إسرائيلية خاصة تنفيذ سلسلة غارات وعمليات اقتحام لم تشهد المنطقة مثيلاً لها منذ سنوات.

في أحد الأزقة، وقف الشاب الفلسطيني ياسر حمدان إلى جانب أخته الصغيرة، يراقبان الجرافات والجنود وهم يقتلعون البيوت القديمة:
- ياسر: "أمي قالت لنا أن هذه الأرض لنا منذ أجدادنا... فلماذا

يقتلعوننا الآن؟"
ـ أخته، بعينين مليئتين بالدموع: "هل سنصبح أشباحاً في بلدنا؟ هل كل شيء سيختفي؟"

في مستوطنة مجاورة، يقف القائد الإسرائيلي رافائيل كوهين، يراقب العمليات عبر شاشة ضخمة:
ـ "أوامر عليا... كل من يقاوم سيتم اعتقاله أو تصفيته. لن نبقي على أي خطر يهدد المستوطنات."

وفي مكتب سياسي، يتجادل مستشارون حول الأعداد المقتحمة والمدمرة:
ـ أحد المستشارين : "هذه أكبر عملية منذ الحرب الأخيرة... سكان غزة لا يملكون أي فرصة."
ـ أحد المستشارين : "لكن العالم يراقبنا... وسائل الإعلام سترى صور القصف والدمار."
ـ رافائيل: "العالم يعرف، لكن الصمت الدولي دائم. الآن، يجب أن تنتهي المقاومة قبل أن تبدأ حرب حقيقية."

الأطفال يختبئون بين الأنقاض، يبكون ولا يفهمون لماذا دُمرت مدارسهم.العائلات تحاول حمل القليل من ممتلكاتها، بينما تندلع الاشتباكات على بعد أمتار منهم.أصوات الانفجارات والرصاص تمتزج مع صرخات البشر، كأن الأرض نفسها تصرخ.

في مستشفى ميداني، تحاول الطبيبة ليلى العنير إنقاذ الجرحى:
- "أوقفوا القتال للحظة واحدة... هناك أطفال يموتون!"
- ضابط إسرائيلي، يبتسم ببرود: "الأطفال جزء من اللعبة... اللعبة طويلة، ونحن نخطط للنصر."

القرار السياسي، الذي أُعلن بشكل بارد على شاشات التلفاز، لم يكن مجرد إجراءات أمنية، بل انفجار مأساوي متدرج أعاد رسم خريطة الأرض الفلسطينية، جعل من المدن الحية أنقاضاً، ومن السكان الناجين أشباحاً، ومن التاريخ حكاية تُروى بالدم.

في نيويورك، في قاعة مجلس الأمن، اجتمع ممثلو الدول الكبرى لمناقشة آخر التطورات في غزة. الأضواء قاسية، والهواء متوتر، وكل كلمة تُقال كأنها قنبلة موقوتة.

السفير الفرنسي، جان لويس، بدأ الجلسة بحزم:
- "الوضع في غزة كارثي. لا يمكننا غض الطرف عن الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان... المدنيون يموتون، والمدارس والمستشفيات تُستهدف."

أجاب السفير الأمريكي، توماس ريد ، بصوت متحفظ:
- "نحن ندعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ، لكن يجب أن يكون هناك ضبط وتوازن. المدنيون هم خط أحمر."

السفير الروسي، إيغور سيميروف، مقاطعاً:
- "الخطوط الحمراء؟ في الحقيقة، كل الخطوط تجاوزت منذ البداية. ما يحدث ليس دفاعاً ، بل حملة ممنهجة لإضعاف الشعب الفلسطيني وإعادة رسم خريطة السيطرة."

السفيرة الصينية، لينغ هوا، أضافت ببرود:
- "أي تدخل عسكري خارجي الآن سيكون كارثة. يجب فرض هدنة فورية، وإلا سيندلع صراع شامل قد يمتد للمنطقة بأكملها."

بينما كانت الجلسة مشتعلة، أرسل مراسل الأمم المتحدة من غزة تقريراً عاجلاً:
- "القصف مستمر، المدنيون يختبئون في الأنقاض، ونقص الغذاء والماء والدواء بلغ مستويات كارثية. المستشفيات تعمل فوق طاقتها، ولا توجد أماكن لإيواء الجرحى."

في مكتب الأمانة العامة، دار نقاش حاد بين الدبلوماسيين:
- دبلوماسي من بريطانيا: "إذا لم نتدخل الآن، سنكون شركاء في هذه الكارثة الإنسانية."
- دبلوماسي من إسرائيل (عن طريق مكالمة فيديو): "كل ما نقوم به هو حماية مواطنينا. الفلسطينيون اختاروا المقاومة، ونحن نرد... ليس هناك خيار آخر."

في برلين، عقد الاتحاد الأوروبي اجتماعاً طارئاً:
- المستشارة الألمانية: "هذا ليس مجرد نزاع محلي، هذه أزمة إنسانية كبرى ستؤثر على استقرار الشرق الأوسط كله."
- وزير الخارجية الإيطالي: "علينا أن نضغط على جميع الأطراف
للتوقف فوراً. لكن الواقع أن إسرائيل تتحرك بسرعة، والفلسطينيون بلا قوة للرد."

في طهران، كان المجلس الثوري يتابع الأحداث بحذر شديد، مستعداً لاستغلال أي ضعف في إسرائيل:
- قائد الحرس الثوري: "هذه فرصتنا لدعم المقاومة، لكن يجب أن يكون بحذر. أي خطوة خاطئة قد تثير مواجهة مباشرة."

أما في القاهرة، فقد اجتمع زعماء الدول العربية لمناقشة الوضع، والغضب واضح في وجوههم:
- الرئيس المصري: "نحن لا نستطيع البقاء صامتين. كل

يوم يموت فيه طفل فلسطيني، يموت معه جزء من ضمير العالم العربي."

- وزير خارجية السعودية: "لكن يجب أن نتعاون مع المجتمع الدولي لنضغط دبلوماسياً، أي تحرك عسكري قد يؤدي لحرب شاملة."

وبينما كانت الجلسات واللقاءات الدولية مستمرة، استمرت غزة في قلب الجحيم: الأطفال يبكون، العائلات تختبئ، والمدن تتحول إلى أنقاض، وكل طرف من المجتمع الدولي يحاول الموازنة بين مصالحه، حقوق الإنسان، والتوازن السياسي، في صراع متشابك يجعل الأزمة أكبر وأكثر سوداوية.

في قلب غزة، الليل كئيب، والأنقاض تتلألأ تحت ضوء القنابل المتفجرة. المباني نصف المهدمة تصنع متاهة من الصمت والموت، والهواء مشبع برائحة البارود والغبار.

في أحد الأزقة الضيقة، وقف الشاب الفلسطيني حسام الكحال إلى جانب أخته الصغيرة لميس، يراقبان جرافة

إسرائيلية تهدم آخر المباني السكنية في حيهم:
- لميس، بصوت مرتجف: "أخي... لماذا يفعلون هذا؟ أمي قالت إن هذه أرض أجدادنا!"
- حسام، ممسكاً يديها بإحكام: "لقد قرروا أن نحيا هنا كأشباح... كل خطوة نخطوها، كأننا نحفر قبرنا بأنفسنا."

في شارع آخر، كانت مجموعة من المدنيين تحاول نقل جرحى إلى مستشفى ميداني. الطبيبة فاطمة خزير تصرخ:
- "أسرعوا... كل ثانية تتأخر فيها سيارة إسعاف، يموت شخص!"
- أحد السكان، حسن عودة، يرد وهو يسحب أخيه المصاب: "أين هم حراس العالم؟ أين الأمم المتحدة؟ لقد تركونا هنا، في قلب النار!"
على أسطح المنازل، يقف مسلحون فلسطينيون، يحاولون صد تقدم القوات الإسرائيلية، لكن كل طلقة تُطلق، كل تفجير، يرفع منسوب الرعب:

وفي الوقت ذاته، الجندي الإسرائيلي دانيال كوهين، ينظر إلى الحي من برج مراقبة، يكتب في دفتره ملاحظات ببرود:

- "هؤلاء يقاومون... لكننا مسيطرون. كل مبنى نحطم، كل شارع نستولي عليه، نعيد رسم خريطتهم."

- زميله: "هل تشعر بأي شيء؟ هؤلاء البشر... أطفال، نساء... كلهم هنا."

- دانيال: "الشعور؟ شعورنا هو المهمة، لا شيء آخر. أي ضعف سيكلفنا أكثر."

في أحد الأحياء، يلتقي ياسر بجدته مريم، التي تحاول حمايته وحماية الأطفال:

- مريم: "يا بني، عليك أن تتذكر أننا أقوياء. حتى في هذه الظلمة، يجب أن نحافظ على روحنا."

- ياسر: "روحنا... ضاعت يا جدتي، كل شيء حولنا يحترق... نحن فقط نتنفس بين الانفجارات."

الدمار مستمر، والصراخ يمتزج بصوت القنابل والرصاص،

بينما الشوارع تتحول إلى ساحات معارك، والمباني إلى مقابر جماعية مؤقتة. كل حركة، كل صرخة، كل دمعة، تشهد على مأساة لم يعرف لها تاريخ مثيلاً.

وفي خضم الفوضى، كان الصحفي الياباني هيروشي تاكاهاشي، الذي وصل لتغطية الأحداث، يكتب مذكراته:

"في هذه اللحظة، يصبح العالم كله شاهداً على ما يحدث هنا... أطفال يموتون، أمهات تصرخ، والمدن تتحول إلى رماد. التاريخ سيكتب أن هذا لم يكن مجرد نزاع، بل إبادة مخططة، دم على حجر الأرض."

وفي ختام هذا القرن من الكوارث، تبقى الأرض شاهدة على أهوال لم يعرفها التاريخ: فلسطين، اليابان، إفريقيا، كل مدينة وكل قرية تحمل ذكرى الحريق، الصرخة، الدم... وكل حجر يروي قصة شعوب دفنت أحلامها تحت الركام.

لكن رغم كل الدمار، رغم كل الانكسارات، يبقى هناك شيء يتوهج في الظلام: روح المقاومة، نبض الأمل المشتعل في قلب من تبقى. فلسطين، التي تحترق، لم تمت بعد. اليابان، التي تراقب هويتها تتلاشى، لم تسقط بالكامل. كل دولة، كل شعب، يحمل في جوفه بذور العودة، بذور الصراع، بذور الأسطورة القادمة.

القارئ، إن كنت تظن أن كل شيء انتهى، فاعلم أن هذه مجرد صفحة أولى في كتاب العالم الجديد. القادم أعظم، وأكثر فظاعة، وأكثر مأسوية، لكنه أيضاً أكثر أسطورة، أكثر حيوية، وأكثر قدرة على قلب

المصائر.

في الجزء الثاني، سنشهد عودة الأبرياء، انتفاضات الشعوب، صراعات الحضارات، ومقابلة القوى التي ظن الجميع أنها لا تقهر... معارك ستُكتب في التاريخ بدماء الأبطال، وملاحم ستغنيها الأرض بأصوات من لم يمت، وبقلوب من قاوم، وبأعين شهدت ما لم يستطع أحد تصوره.

فاستعد... لأن العالم كما عرفته قد انتهى.
أما القادم، فسيجعلك تعيد النظر في كل شيء، في كل حدود، في كل خريطة، وفي كل قلب ينبض تحت الرماد.